قصة من الواقع....

من أدغال أفريقيا ملك يحقق المستحيل

بقلم: بهية بو سبيت

يقيم جيمس كومسو المسيحي الديانة، في قرية ياسكني التي تقع في الجنوب الغربي من قارة إفريقيا وفي وسط جمهورية الكاميرون وبالقرب من مدينة فومبان، هي قرية وارفة الأشجار وهادئة، كان يسكن مع زوجته الحامل في بيت نتواضع ويصرف على أسرته الصغيرة من عمله البسيط في القرية، كان سعيداً بحياته، في أدغال القارة السوداء، أفريقيا وفرحته تكبر كلما مضت الأيام، فهو ينتظر قدوم طفل جديد سيدخل البهجة إلى حياتهم.

في ليلة شديدة السواد جاء المخاض الى زوجته، فأسرع بمساعدة جيرانه إلى نقلها للمستشفى، مرت ساعات طويلة وهو على كرسي الإنتظار قبل أن يخبره الطبيب بأن زوجته قد أنجبت له طفلين وهي بخير، كاد يطير من الفرح إلا أن الطبيب لم عن صحة طفليه، وقد شاهد على وجه ما ينبئ بخير غير سار، فلما سأله، بدا الطبيب قلقا ومضطربا، فحالة طفليه حالة نادرة، وعلاجها إن وجد سيكون مكلفا وصعبا على رجل فقير مثله، لكن من واجب الطبيب أن يطمئنه ويخبره بحقيقة حالة أطفالة الغريبة والنادرة في بلده، أخذه الطبيب إلى مكتبه ليشرح حالتهما قبل أن يراهما فيصدم بأنه رزق بطفلين سيامين، وبمهارة الطبيب القدير، شرح له حالتهما، وجعله يخرج من عنده وهو مرتاح النفس مؤمن بقدرهما، بعد أن ضاق صدره مدركا أن عليهما الصبر ولأمل في علاجهما مستقبلا أملا، لابد من العيش عليه وإن بدأ بالنسبة له مستيلاً !!

مضت الشهور الأولى على ولادة طفلي جيمس، التي تسببت بتشاؤم أهل قريته، وأصبح وأسرته حديث الجميع في تلك القرية، فكان بين فترة وأخرى يذهب بهما إلى مستشفى الكنيسة للكشف عليهما وأخذ علاج لهما، وفي كل مرة كان يذهب كان يسأل عن كيفية علاجهما حتى عرف إنه يحتاج إلى عدة ملايين من الفرنكات ليستطيع فصلهما عن بعض، إحزنه هذا الخبر بقدر ما أفرحه فهو رجل فقير، ولن يستطيع علاجهما حتى بعد سنوات، وظل حزينا لكن الأمل لم يفارقه، ذات يوم وهو في رحلة إلى قس إمريكي كان يعمل بالمستشفى الذي يذهب إليه بأطفاله، إستقبله القس بكل ترحاب وبشر قائلاً : لدى خبر جميل لك ياجيمس احس بفرح كبير يطغى على قلبه بتلعثم قال: هل هو بشان علاج اطفالي؟ اجل جيمس قال: الدكتور وبتي ذلك وأشار إليه بيده ليجلس متابعاً لقد قرات في الصحف عن نجاح مستشفى سعودي في عملية فصل توام سيامي عراقي دون اخذ اجر ولدي العنوان الإلكتروني الخاص بالمستشفى ، طلب منه ان يتصل هو بهم ويخبره عن حالة أطفاله وهل من الممكن علاجهما بهذا المستشفى السعودي، بعد محادثتهم ، طلبوا منه التقارير الخاصة بحالتهما. لم يصدق جيمس أن يكون هذا التجاوب بسرعة فكان الأمل بقرب الفرج

وانها مأساتهما ليس بعيدا، وظل يدعو وزوجته.. لم يمض أسبوع حتى وصلت موافقة العلاج في السعودية، وتجهيز أسرته للسفر والإقامة الى حساب حكومة خادم الحرمين الشريفين طيلة مدة العلاج ، في بداية الأمر لم يصدق هذا الخبر، ولم يصدق أن المستحيل سيتحق وبسرعة على يد ملك عربي مسلم ، وفي بلد الإسلام ؟؟ وهو النصراني الديانة الكاميروني البعيد، والفقير والمجهول بالنسبة للآخرين .ظل فترة طويلة يفكر فيما حدث وكأنه في حلم ، حتى أهل القرية لم يصدقوا ذلك في بداية الأمر، واعتبروه رجل محظوظ هو وأطفاله.

ما أعظم ذلك في الإسلام ، وما أعظم المسلمين ، وما أعظم هذال الملك العربي في إنسانيته ومحبته للجميع، كان جيمس يردد هذا الكلام أمام الجميع، بعد أيام ليست بالطويلة كان جيمس وأسرته يقيم في الرياض في المكان المخصص له ولأسرته بناء علي تعليمات خادم الحرمين الشريفين ، وما كان يعلم ماتخبئه له الأيام من المفاجآت الأولية قبل إجراء عملية الفصل، وفي اليوم الذي حدد لإجراء العملية، كان جيمس وعائلته في مستشفى الرياض التخصصي، في إنتظار خروج الفريق الطبي من غرفة العلميات بقيادة الطبيب السعودي المشهور، عبدالله الربيعة، خروج الدكتور بعد ساعات طويلة من غرفة العلميات ليزف لوالدي الطفل نجاح العملية طفليهما، ألجمتهما المفاجأة السارة وقد شاهد طفليهما في منظر يسعد النفس ويريح القلب، ويطمئن الفكر، كان جيمس في تلك اللحظات يحس انه في حلم جميل يخاف ان يستيقظ مه حسن اخلاقهم وجميل من التقي بهم من الرجال السعوديين في أوقات مختلفة، عرف منهم حسن أخلاقهم وجميل عرف منهم حسنم اخلاقهم وجميل طبائعهم ، ولين تعاملهم وانسانيتهم وحبهم لمساعدة الآخرين، مسلمين او غير مسلمين احس بالقرب منهم كانهم اهل واصدقاء مقربون ، خاصة عندما التقى بالملك عبدالله، بعد نجاح العملية للإطمئنان على الاطفال واستقبله بكل محبة وتواضع مباركا له نجاح العملية، للإطمئنان على الأطفال واستقبله بكل محبة الروح العالية من التسامح وحسن التعامل والتعاون؟؟ ما أعظم الإسلام وما أسعد المسلمين بدين كهذا الدين، ويملك عظيم كهذا الملك أبقاه الله، فقد كان لقائه بخادم الحرمين الشريفين أمنية مستحيلة لرجل مثله لكنها تحققت، كما تحقق علاج طفليه على يد ملك عظيم ، فترة إقامته طيلة الأربعة الشهور والنصف لإستكمال علاج أبنائه قرر أن يسلم بعد ان تيقن أن دين الإسلام هو الدين الحق، وأسلمت زوجته معه فكان هذا مستحيل ثاني قد تحقق ، ولم ينسوا أهل الفضل ان يدعوه لعمل عمرة ، فعمل عمرة قبل أن يغادر بلد الخير، وكان متسحيل ثالث قد تحقق، بفضل الله ثم بفضل ملك صالح، عاد حيمس وأسرته إلى الكاميرون، وهو رجل آخر غير الذي ذهب، عاد رجلا مسلما بأبناء اصحاء وأسرته إلى الكاميرون، وهو رجل آخر غير الذي ذهب، عاد رجلا مسلما بأبناء اصحاء وأسرة مسلمة، لكنه لم يكن يعلم أن الله قد خبئ له خيرات أخرى ، في قريته الصغيرة عندما أراد الصلاة لم يجد مسجداً يصيلي فيه، ففكر في إيجاد مسجد للصلاة ولدعوة اهل قريته لعله يهدهم إلى الإسلام بعد ان عرفوا منه ماعرفوا عن الإسلام والمسلمين، نقل فكرته إلى الدكتور عبدالله الربيعة ليرفعها إلى مقام خادم الحرمين الشريفين، ولم تمضي فترة حتى جاءت الموافقة على بناء مركز يحتوي على مسجد مكون من طابقين، وسكن للإمام وستة فصول دراسية وغرف للإدارة ومكان لصلاة النساء ومستوصف طبي ودورات مياة وأماكن للوضوء، فكان تحقيق مستحيل الرابع، وبعد وصولة بأيام برفقة الشيخ أحمد الفارس، أسلم إحد عشر شخصاً فكان المستحيل خامس وخير لم يحسب له حساب، ومع مرور الشهور القليلة أسلم ثمان مائة وستة وستون شخص بين رجل و إمرأة، وبإسلام هؤلاء الأعداد وفي قل من عام على حدوث وتحقيق تلك المستحيلات، أدرك جيمس أو عبدالله الذي غير إسمة بعد إسلامة وأختار إسم عبدالله تيمنا باسم ملك عظيم كان الفضل له، بعد الله تعالى في علاج أطفاله ودخوله وأسرته وأهل قريته الإسلام، بالإضافة نشر الدعوة الإسلامية في هذا البلد.

ـ نعم في البداية لم يصدق كومسو ولا كل ولا أهل قريته أن ملكا عربياً هو الملك عبدالله ابن عبدالعزيز هو من سيحقق المستحيل وينهي مأساته.. فهذا لم يحدث إلا على يد ملك مملكة الإنسانية.